

# الدعوة للطاعة

## كيف تتواصل مع الله

نجد في الأصحاح الثالث من سفر التكوين أن الله يطرد الإنسان من الجنة في محضره. لكن في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا، نجد أصحاح الفرح لاستعادة الأشياء المفقودة: الدرهم المفقود، والخروف الضال والابن الضال. هنا نجد أجمل صورة للإنسان الذي يرجع إلى محضر خالقه في صورة رسمها الرب يسوع بنفسه بهذه الكلمات: "فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ" (لوقا ١٥: ٢٠). هذه هي قصة الابن الضال، وهي سرد بارع لظهو الوازع الديني ونموه داخل روح الإنسان لتجعله يعيد التواصل مع الله. وإن نلت الخلاص، فلا بد أن تكون قد اختبرت أيضاً أن الأب السماوي وقع على عنقك يقبلك؛ وأنه قد أعطاك حذاءً روحياً جديداً ووضع في إصبعك خاتماً وألبسك ثوب البر شهادة على الحفاظ على طهارتك ونقائك استعداداً لحفل العرس العظيم.

من المثير للدهشة أن هذه القصة لم يسجلها سوى لوقا، وهو طبيب سرياني غير يهودي، لم يتقابل مع الرب يسوع أبداً، لكنه كان رفيقاً لبولس في الكرازة. جمع لوقا كل ما يمكنه عن حياة الرب يسوع ثم قرر أنه لا بد من وضع هذه القصة لإذاعتها إلى العالم كله. أوه، يا له من دين علنا نحو لوقا، لأن جميع الآباء والأنبياء والرسل يتضمنهم هذا المشهد الذي ذكره لوقا في بشارته (١٥: ٢٠).

هذه الصورة وحدها هي التي ألهمت عدداً لا يحصى من ترانيم محبة الله. فيما يلي السطور الأولى فقط من ترنيمتين منها.

إن محبة الله أعظم بكثير مما يمكن أن يعبر عنه اللسان أو القلم، فهي تتجاوز أعلى النجوم وتصل إلى أدنى جحيم... تعالوا أيها الخطاة والمساكين والفقراء والضعفاء والمحتاجين والمجروحين والمرضى والمتألمين. يقف الرب يسوع مستعداً لأن يخلصك، وهو مملوء بالشفقة والمحبة والقوة...

لكن فلنتأمل الآن في غنى التعليم الذي يتضمنه هذا المثل فيما يختص الكرازة. إنه يُظهر الشروط التي يلزم أن تتوفر في العلاقة بين الله والإنسان لكي تتم. إنها صورة واضحة لما

يجعل الله يتجه نحو قبول الإنسان وما الذي يمنعه من ذلك. لذلك، يمكننا أن نسمي هذا دليلاً شخصياً مصغراً حياً للكراسة. وفيما يلي نقاطها الرئيسية:

١- لاحظ أنه من المقرر بوضوح هنا أن الأب (الله) لا يتحرك لخلاص الابن إلا عندما يتحرك الابن أولاً. لقد وضع الله من جانبه بالفعل، الأساس لهذا اللقاء من خلال ذبيحة الدم والآن، الأمر متروك لكل البشر الضالين لاتخاذ الخطوة التالية. إنها خرافة أنه ليس على الإنسان أن يفعل شيئاً لكي ينال الخلاص وأنه على الله وحده أن يفعل كل شيء. ليس الأمر كذلك. هنا نتعلم أن الله لن يتحرك إلا عندما يبدأ الخاطئ في الابتعاد عن الخطيئة. بعبارة أخرى فإن دعوة الله هي: "ارْجِعُوا إِلَيَّ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ" (ملاخي ٣: ٧). بذلك، فإنه منذ تأسيس ذبيحة الدم، أصبحت الكرة في ملعب كل إنسان.

٢- ومع ذلك، فإننا نتعلم أيضاً أنه على الرغم من أن الأب لا يتحرك حتى يتحرك الابن الضال، إلا أنه يتطلع باشتياق وقلق من النافذة، في انتظار أن يتحرك الابن. إن أبانا السماوي يتطلع وينتظر ما دام هناك أحد أبنائه قد ضل.

٣- لكي تبدأ هذه العملية كلها، ينبغي على الابن أن يرجع إلى نفسه أولاً. وقبل أن يرجع الإنسان إلى الله، يجب عليه أولاً أن يرجع إلى نفسه وإلى رشه حيث يرى شقاوته وأنايته وروحه المتمردة. هل سبق لك أن رجعت إلى نفسك؟

٤- ثم يقوده هذا إلى الانكسار، الذي بدون له لن يتوب. "ذَبَائِحُ اللَّهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللَّهُ لَا تَحْتَقِرْهُ" (مزمور ٥١: ١٧). وإلى أن يصير الإنسان منكسراً من الداخل، لن يمكن لله أن يفعل أي شيء معه. وإلى أن يمر بالانكسار، لن يعترف بصدق بخطيته نحو أبيه السماوي أو أخيه الإنسان. لا تحاول أن تدخل الخراف إلى حظيرة الغنم وقد رفضوا أن يضعوا رؤوسهم على كتفي الراعي حتى مع أنهم يتلون صلوات صحيحة ويؤمنون بعقائد مستقيمة؛ لن ينالوا الخلاص لأنهم غير مستعدين لطاعة الله. قد يترددون على الكنيسة، لكنهم لن يكونوا جزءاً من جسد المسيح. أن تكون عضواً في الكنيسة وأن تكون جزءاً من جسد المسيح هما شيان مختلفان. بالنسبة للحالة الأولى ليس عليك سوى أن تؤمن بالسيد المسيح. بالنسبة لفلحالة الثانية يجب أن تكون ثابتاً في السيد المسيح. يبدأ الانكسار كل عملية الثبات. فمثلاً، هذه هي الطريقة التي بدأت بها حياة بطرس مع المسيح. "حَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لِأَيِّ رَجُلٍ خَاطِئٍ!" (لوقا ٥: ٨). لقد رجع إلى نفسه منكسراً ومعتزفاً بخطيته. وهذه هي الطريقة التي بدأ بها عصر الكنيسة. عندما كرز بطرس في يوم الخمسين، نُخِسَ الناسُ فِي قُلُوبِهِمْ، وانكسروا، وسألوا: "مَاذَا نَصْنَعُ؟" (أعمال ٢: ٣٧). مثل هذا الانكسار، مثل هذا الخضوع

وهذا الحماس المقدس كان داخلهم لدرجة أن ثلاثة آلاف منهم قرروا على الفور أن يبيعوا كل ما لديهم ويضعوه عند أقدام الرسل من أجل الصالح العام، وواظبوا على التسبيح والصلوات كل يوم. كان هؤلاء المتحمسون وليس غيرهم هم الذين اعتمدوا وامتلاؤوا بالروح القدس في عيد ميلاد الكنيسة. مرة أخرى، كان الأساس هو الانكسار.

إننا نحاول أن نبني الكنائس بحياة بغير انكسار بلا توقف. لا يمكن أن يتم ذلك. إنك ترى، أيها الصديق الحبيب، هناك لافتات "توقف" في الطريق إلى بيت الأب والتي لا بد من أن تتحول إلى لافتات "انطلق". إحداهما انكسار والأخرى اعتراف والثالثة توبة. كثيرًا ما كان الرب يسوع يضع لافتة "توقف"، مثلما حدث عندما اتجه إلى الجموع الذين يتبعونه قائلاً: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّبِعْنِي" (لوقا ٩: ٢٣). لقد طلب من الجموع التوقف للحظة وجساب تكلفة التلمذة (لوقا ١٤: ٢٨). يجب إطاعة إشارات "التوقف" والتأمل فيها قبل أن تتحول إلى إشارات "انطلق".

٥- مرة أخرى، أكتب إليكم عن نشأة الفكر الديني وتطوره داخل النفس. بعد أن رجع الابن الضال إلى نفسه، استجاب باتخاذ قرار قائلاً: "أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ" (لوقا ١٥: ١٨). كان رجوعه إلى أبيه والده يعني ترك حظيرة الخنازير، وبيئة حظيرة الخنازير بقذارتها ورائحتها الكريهة، والالتحاق بجماعة جديدة من الأشخاص بأسلوب حياة مختلف، وتوجه مختلف، بل وحتى ملابس مختلفة. كان ذلك يعني حياة جديدة. اتخذ الشاب قرارًا. لكن لاحظ أن مجرد وجود ذلك القرار لم يحرك أباه. فقد ظل الأب ينتظر أن يتحول القرار إلى فعل.

٦- قام الابن وذهب إلى أبيه. هذه توبة لا أقل من ذلك. ما حرك الأب كان عندما اتخذ ابنه الخطوات الأولى بعيدًا عن حظيرة الخنازير متجهًا إلى بيت أبيه. توقف عن الحديث عن التدين، واسلك حسب ذلك. وإلى أن تفعل ذلك، لن يحدث شيء: "أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ عَامِلِينَ أَعْمَالًا تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ" (أعمال الرسل ٢٦: ٢٠). بعض هذه الأعمال تتضمن الصلاة وقراءة الكتاب المقدس ومساعدة الآخرين والقيام بالأمر الصحيحة مثل تفضيل الآخرين على نفسك وتقديم المال لعمل الله. بتعبير آخر، فإنك عندما تبدأ في التحرك، فهذه هي أعمال التوبة. سيلاحظ الله ذلك ويبدأ في التحرك نحوك حتى وأنت بعيد. يمكنه أن يراك من مسافة بعيدة. "وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ". بتعبير آخر، فإنك بمجرد أن تبدأ في التحرك نحو أبيك السماوي، يبدأ هو في عمل شيء لك ومعك ومن أجلك. مرة أخرى، قم بأعمال التوبة. بالنسبة لأبيك السماوي، ليس لا يهم الأمر الذي تفكر فيه، لكن ما يهم هو الموضع الذي تتجه إليه

قدماك. نعم، هليلويا، ما أن تتجه نحو بيت الأب، سوف يركض، لن يمشي، بل يركض لكي يتقابل معك.

لاحظ أيضاً شيئاً غائباً بشكل واضح في لقاء الابن الضال مع أبيه. لم يلق أبوه محاضرة على مسامعه، ولم يدعك في ذنب الابن. بصرف النظر عما تم في الماضي، حان الآن وقت المحبة فقط. اقبل محبة أبوك السماوي ومغفرته ونسيانه أين كنت وماذا فعلت. مثلما يغفر لك أبوك السماوي وينسى، كذلك ينبغي أن تغفر وتنسى وتمضي معه.

نال الابن حذاءً جديداً وخاتماً ورداءً جديداً ووليمةً. لدى الأب نفس الأشياء لنا جميعاً نحن الذين نأتي إلى البيت. هذا ما نعرفه من مقدمة المثل الذي رواه الرب يسوع. "هكذا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لوقا ١٥: ١٠). كل من يأتي ينال ثياباً جديدة، وحذاءً جديداً استعداداً لإنجيل السلام، وخاتماً كدليل على العهد مع أبيه، وثوب البر.

إن لم تكن في البيت أيها الصديق الحبيب، فإن أباك السماوي في انتظارك. وليس سرّاً ما الذي يمكن أن يفعله الله، ما الذي فعله مع الآخرين، يمكنه أن يفعل ذلك من أجلك.

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا [www.schultze.org](http://www.schultze.org)

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA